ملامح المقاومة عند شعراء الثورة الإسلامية الإيرانية وثورة التحرير الجزائرية

(حميد سبزواري ومحمد العيد آل خليفة نموذجا)

سمية حسنعليان

أستاذة مساعدة في اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان - إيران

الملخص:

للمقاومة عند كل شعب مؤلفات طالما تشترك بين الشعوب الصامدة، ومن هذه الشعوب المحتسبة الثائرة هما الشعب الجزائري والشعب الإيراني، إذ بإرادة الشعبين حدثت ثورتان في البلدين هما الثورة الإسلامية في إيران وثورة التحرير في الجزائر.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن للشعر هدفا عاليا يسمو به عن المصالح الشخصية ليصبح عاملا للتغيير والتطوير ومن جراء ذلك يصبح الشاعر مسؤولا اجتماعيا يخدم المجتمع الذي يعيش فيه والأمة التي ينتمي إليها ويغني للأرواح الخامدة حتى تنتعش وتدب فيها الحياة ويبعد عنها القيود التي تعوقها عن الانطلاق وممارسة الحياة كما ينبغي للمجتمع الحر أن يمارسها، ويجعل شعره مرآة تعكس ما يجري من الحوادث في المجتمع.

وانسياقا من هذا يستهدف البحث إلى دراسة الملامح المشتركة للمقاومة الجزائرية والإيرانية في ثورتهما ضد الظلم والاستبداد، في شعر الشاعرين هما محمد العيد آل خليفة من الثورة الجزائرية وحميد سبزواري من الثورة الإيرانية، مستخدما المنهج الوصفي ـــ التحليلي.

من أهم ما حصل خلال البحث هو أن هاتين الثورتين اشتركتا في مفاهيم عالية في المقاومة مثل الدفاع عن الوطن، الإشادة بالشهيد والشهادة، مكافحة الاستعمار، الاهتمام بالحرية، الدعوة إلى الوحدة و..

الكلمات الأساسية: الثورة، إيران، الجزائر، المقاومة، الوطن، الشهادة

1ـــ المقدمة:

من الضروريات التي لا بد من الاهتمام بها في مجال الأدب المقاوم هو مقارنة هذا النوع من الأدب بين الشعوب التي تذوقت طعم المقاومة وبذلت الدماء حالمة بمستقبل زاهر. ومن الشعوب التي اشتهرت بمقاومتها في العصر الحاضر هما الشعب الإيراني والجزائري؛ إذ وقعت في كلا البلدين ثورة ضد الاستبداد والظلم، واستطاع كلا الشعبين أن يحررا الوطن من نيرهما.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فالأدب هو مرآة تعكس ما يجري في المجتمع من حوادث وتيارات والشعراء بوصفهم أناس ذوي طبائع حساسة ومشاعر مرهفة فيهتمون بما يقع حولهم في المجتمع ويشيرون إليه في شعرهم .. ومن هذا المنطلق فلم يستثن الشعراء الجزائريون والإيرانيون من هذا المهم واهتموا بالثورة في بلدهم ومن هؤلاء الشعراء حميد سبزواري ومحمد العيد آل الخليفة. وانسياقا من هذا يستهدف هذا البحث إلى دراسة شعر هذين الشاعرين. من **الأهداف** التي ينوي البحث تحققها هي:

ـــ التعرف علي الثورة الإيرانية والثورة الجزائرية وبيان أهم خصائصهما.

ـــ الإشارة إلى الملامح المشتركة للمقاومة الإيرانية والجزائرية في شعر الشاعرين.

المنهج الذي توخاه البحث لتحقيق الأهداف هو الوصفي ـــ التحليلي.

بالنسبة إلى **خلفية البحث** فجدير بالملاحظة أن كثيرا من البحوث والدراسات التي ألفت في الأدب المقاوم اختصت بالأدب المقاوم الفلسطيني وكأن ذكر المقاومة تذكر الإنسان بفلسطين وما كان يعاني ـــ وما زال ـــ شعبها من ظلم واضطهاد وإن نعثر على بعض دراسات بحثت عن المقاومة للشعب الإيراني أو الشعب الجزائري ولكننا لم نحصل على دراسة شاملة قارنت بين الشاعرين من إيران والجزائر للبحث عن الملامح المقاومة المشتركة في شعرهما بوصفهما نموذجين من شعراء المقاومة في البلدين.

ومما لا يفوتنا ذكره أنه مثل هذه الدراسات يساعد الباحثين في التعرف على الملامح المشتركة بين الشعبين في موضوع واحد والآليات التي استخدمها كل من الشعبين لطرد الظالم والمستبد من البلد، فضلا عن الحصول على المظاهر المشتركة في ثقافتهما.

2ـــ نبذة عن الشاعرين:

محمد العيد آل خليفة هو شاعر من الجزائر ولد بعين البيضاء سنة 1904م وفيها نشأ وترعرع، وتلقى دروسه الابتدائية، ثم انتقل إلى بسكرة فأخذ العلم هناك عن بعض شيوخها وفي سنة 1240ه غادر بسكرة إلى تونس ودرس بجامع الزيتونة سنتين (الزاهري، 1926م، 11). له دور هام ومساهمة كبيرة في النهضة الفكرية والصحافية في الجزائر فشارك بقلمه في عدة مجلات منها: الإصلاح، صدى الصحراء، و.. وبعد أن انتقل إلى العاصمة الجزائرية في 1927م قام بالتدريس وتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (درار، 1984م، 204).

له ديوان شعر يضم بين دفتيه أغراض شعرية مختلفة منها أدبيات وفلسفيات، إسلاميات وقوميات، أخلاقيات وحكميات، اللزوميات، الإخوانيات، ثوريات، المراثي، ذكريات، متفرقات، الألغاز، الأناشيد، اعتراف بجميل. جمع قصائده أحمد بوعد عام 1952 م وسماه شاعر القرن العشرين وتم طبعه عام 1967م (سعد الله، 1998م، 8: 225)، وكذلك نشره دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع سنة 2010م. له آثار في المسرحية الشعرية مثل بلال بن رباح، صدرت عام 1938م (ناصر، 1985م، 166). وهكذا تبدو للمتأمل في آثار الشاعر غزارة المادة، كما يبدو له تعدد الموضوعات التي كتب فيها الشاعر، والقضايا المختلفة التي عبّر عنها، في أوضاع عديدة وبرؤى كثيرة.

أما الشاعر الإيراني حسين ممتحني الشهير بحميد سبزواري، من مواليد عام 1304 ه. ش (ه. ق)، في مدينة سبزوار من محافظة خراسان الإيرانية، أبوه عبدالوهاب كان يهتم بتربية ولده الدينية، يذهب به إلى المسجد منذ صغره. ومع أنه بدأ نظم الشعر منذ نعومة أظفاه في هجو بعض أصدقائه الذين كانوا يؤذونه ولكن أباه نهاه عن ذلك وحرضه على إنشاد الشعر الديني. وكأنه قد ورث الشعر من أسرته الشاعرة كما ذكر الشاعر في ذكرياته أن كثيرا من أقربائه وأعضاء أسرته كانوا ينظمون الشعر وكانت لهم يد طولى فيه. أول ما كتب من الشعر هو الشعر الاجتماعي وسماه «فريادنامه؛ »، وذلك لما كان يجري في إيران عام 1320 ه.ش لدخول المتفقين إيران والمشكلات الاقتصادية التي كان يعاني منها الإيرانيون. وفي شبابه دخل معهد تربية المعلمين ولكن لما حدث له إثر كودتاى 28 مرداد 1332 بإيران من مشاكل، كان متواريا في البلد من مدينة إلى أخرى وكان يشتغل بأشغال مختلفة حتى استقر في شغله في المصرف. وفي الثورة الإسلامية أصبح سجلا لها و لم يحدث شيء جديد في الثورة حتى ثبته في شعره بأدق تفاصيله (فيض، 1386، 34ــ 45). ويمكن تقسيم آثاره الشعرية إلى قسمين: الأول ما نظمه في فترة الاختناق الشديد التي كانت تحكم إيران قبل الثورة الإسلامية والشاعر عرّض بأشعاره بشجاعة وإيمان على الحكومة الملكية في إيران ولامها على وضع الناس السيء. والثاني: ما نظمه بعد الثورة الإسلامية باذلا أقصى جهوده في ذكر رسالة الثورة الإسلامية والدفاع عن القيم الإسلامية ومفاهيمها. من أهم مؤلفات الشاعر الإيراني سبزواري هي: «سرود درد؛ نشيد الألم»، «سرود سپيده؛ نشيد الفجر»، «سرودى ديگر؛ نشيد آخر»، «كاروان سپيده؛ موكب الفجر»، «ياد ياران؛ ذكرى الأصدقاء»، «به رنگ آمده دشمن؛ »، «گزيده ادبيات معاصر؛ مقتطفات الأدب المعاصر».

3ــ الثورة الإسلامية الإيرانية وثورة التحرير الجزائرية في سطور:

الثورة الإسلامية الإيرانية هي ثورة نشبت سنة 1979م وحولت إيران من نظام ملكي، تحت حكم الشاه محمد رضا بهلوي، لتصبح جمهورية إسلامية عن طريق الاستفتاء، ومؤسسها هو روح الله الموسوي الخميني الشهير بالإمام في إيران. هذه الثورة تنقسم إلى مرحلتين: المرحلة الأولى دامت تقريبا من منتصف 1977م إلى منتصف 1979م، وشهدت تحالفاً ما بين الليبراليين واليساريين والجماعات الدينية لإسقاط الشاه. أما المرحلة الثانية، فغالباً ما تسمى «الثورة الخمينية»، شهدت بروز آية الله الخميني وتعزيز السلطة والقمع وتطهير زعماء الجماعات المعارضة للسلطة الدينية (روحانى، 1359، 45، خليلي، 1375، 26). هذه الثورة في الحقيقة فاقت كثيرا من الثورات في تأرىخها

وبنائها، وفي فلسفتها، وفي حركتها المىدانىة، وفي نتائجها وانعكاساتها. والثورة الإسلامية الإيرانية تمتاز بصفات منها: أنها ثورة خلقت مصطلحاتها الجدىدة مثل الاستضعاف، الإستكبار العالمي. الشىطان الأكبر و.. ، ثورة مكتفىة بنفسها، كان شعارها الرئيس «لا شرقية ولا غربية»، فى الوقت الذّي كان العالم أجمع إما شرقىا تابعا لفلك الإتحاد السوفىتي، أوغربىا تابعا لفلك الإمبرىالىة الأمرىكىة، وأنها ثورة شعبىة شارک فىها كلّ أطىاف الشعب على تحقىق هدف معىّن بأسلوب محدّدٍ، فضلا عن أنها ثورة سلمىّة، إذ بالرّغم من مجابهتها بقوّة السلاح، وإراقة الدماء.. إلاّ أنّها التزمت كلىّة بالمسلک السّلمي (مطهرى،1362، 23، محمدى، 1370، 75).

أما ثورة التحرير الجزائرية فاندلعت في 1 نوفمبر 1954م ضد الإستعمار الفرنسي الذي احتلّ البلاد منذ سنة 1830م، وانتهت بإعلان استقلال الجزائر يوم 5 جويلية 1962م بعد أن سقط فيها أكثر من مليون ونصف مليون شهيد جزائري. بدأت المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال مع نزول أرض الجزائر، وكان أقوى حركاتها حركة الجهاد التي أعلنها الأمير عبد القادر في 1248هـ 1832م، واستمرت خمسة عشر عامًا، ولقد بادر الفرنسيون بحرب إبادة ضد الجزائريين، والحيوانات، والمزارع، فوقع الذعر في قلوب الناس، واضطر الأمير عبد القادر إلى الاستسلام في 1261 هـ=1847 م. ولكنه لم تهدأ مقاومة الجزائريين بعد عبد القادر، فما تنطفئ ثورة حتى تشتعل أخرى، وأخيرا إثر مقاومة الشعب الجزائري وما قدمت مصر إلى الجزائر من دعم في الجوانب المختلفة السياسية، المالية، العسكرية، الفنية وغيرها أينعت هذه المقاومة وأثمرت الثورة وبعد إجراء الاستفتاء الذي فيه أدلى الأغلبية الساحقه بـ«نعم» اعترفت فرنسا باستقلال الجزائر وأعادت إليها السيادة الوطنية التي سلبتها منها من عام 1830م (دبش، 2007م، 70ـ 75، الديب، 1990م، 653 و..).

4ـ ملامح المقاومة في شعر الشاعرين:

وفي هذا القسم من البحث سنشير إلى الملامح المشتركة للمقاومة في شعر الشاعرين ومن أهمها هي فضايا مثل:

4ـ 1ـ الدفاع عن الوطن:

كيف لا تكون قضية الوطن في رأس ملامح المقاومة ومؤلفاتها؛ إذ أصل الثورة في الدفاع عن الوطن والاهتمام به ودفع السوء عن المواطنين. وكفى بنا في بيان أهمية الوطن أنه قد ورد في الحديث النبوي الشريف أن «حب الوطن من الإيمان» (محمدى رىشهرى، 1363، 10: 522). و لم يبرح الشعراء عبر العصور يتغنون بالوطن مسترجعين ماضيه ومباهين بحاضره آملين مستقبلا زاهرا له، و لم تزل فطرة الانتماء تخالج أحاسيس الشعراء في كل التفاتة صوب أوطانهم.

قال الشاعر الجزائري في قصيدته المعنونة بـ «علم الجزائر» مقسما بأرواح الشهداء الذين بذلوا دماءهم في سبيل حفظ الوطن وبالمعارك المضنية التي شهدها البلد وبالمغانم التي اكتسبها في هذه الحروب قال إنه سيضحي كل نفيس له للوطن ويخدمه خدمة العبد الذليل لمولاه:

قسما بأرواح الذين استشهدوا/ بحماك مطعانا إلى مطعان/ وبما شهدت من المعارك شامخا/ تعلو على الأوطاد الكثبان/ وبما غنمت من المكاسب بعدما/ خضت الغمار مضرج الأردان/ لأسخرن لك الجوارح كلها/ ولأخدمنك خدمة العبدان/ وأضحين عليك من نفسي ومن/ مالي بما يرضيك من قربان (403).

وكل هذه التضحيه لأجل العزة وعلو مرتبة الجزائر: حتى أحلك في أعز مكانة/ يسمو بها وطني على الأوطان (403).

وحتى يتحدى الغاصبين بأن يأخذوا أرض الوطن إذا استطاعوا لأنهم ولو ساعدهم لجن والإنس لن يقدروا الغلبة على الشعب الجزائري: هيهات يحرز غاصب نصرا ولو/ بالجن والإنس احتمى واستنصرا (405). وهذا ما يذكرنا بما ورد في القرآن الكريم؛ عندما تحدى الناس بأن يأتوا بمثله إذا استطاعوا: »قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا« [الإسراء 17: 88]. ويرى الشاعر أن العقبى الحسنة والطيبة لن تحصل إلا للذي يفدي بنفسه في سبيل الوطن أو قل يستشهد وهو بطل حقيقي؛ مشيرا إلى أنهم يبذلون كل شيء في سبيل حفظ الوطن لأنه سبيل الله ومن جراء حفظ الوطن سيُحفظ الدين الإسلامي ولا يأخذهم نصب ولا لغوب في هذا الطريق: نحن الدعاة ولا ونى/ نحن الحماة ولا وجل/ في الله نحتمل الأذى/ في الله نقتحم الأجل/ ما طابت العقبى سوى/ للمخلص الفادي البطل (384).

والانتماء للعروبة لدى محمد العيد جزء أساسي من الانتماء الأشمل للأمة الإسلامية، كما أنه لا عروبة بلا إسلام، وهو انتماء أبدي طموحاً في نفس الشاعر إلى وحدة رشيدة تكون مصدر المنعة والقوة والغلبة في النهاية:

نبني العروبة من جديد قلعة/ من حولها قصف المدافع يرعد/ فلتحي وحدتنا بها في منعة / ومن المحيط إلى الخليج تمدد/ وليحي في ظل العروبة ودنا / ملء القلوب وعهدنا المتأبد (345).

«وقد أبقى على هذا الحب المقدس للوطن في النفس حتى آخر لحظة من حياته، حين لقي ربه، سعيداً راضياً، بعد ما أدى بجهده وبشعره رسالة نضالية مضنية، وإن لم يتوفر في شعره فن رفيع كما ينتظره البعضوذلك من طبيعة الظروف والمرحلة التي نشط فيها، فقد توفر فيه التأثير القومي والنضالي، والموقف الواضح في التوعية والصدق الخالص في التعامل مع التجربة الفنية، ونقلها مفعمة بالحرارة والحب، إلى قارئه في الجزائر وخارجها.. في وطنه الأكبر.. وطن العروبة والإسلام» (ابن قينة، 1993م، 36).

ونلاحظ أن الشاعر الجزائري أحيانا يأخذ في وصف الجزائر ويراها أما حنونا عطوفا:

نرى دولة الجزائر فينا/ دوحة تحتها وريف الظلال/ بل نراها أما علينا عطوفا/ ونرى برّها أجل الخصال (391)

وتشبيه الوطن بالأم أمر ليس بجديد في الشعر العربي ويرى جمال بلده إذ كأنه دوحة فيها أشجار كثيفة الأغصان وارفة الظلال. كما أن الشاعر الإيراني يصف وطنه مشبها إياه بالبحر الثائر الذي لا هدوء له ويصرخ ويثور في وجه الأعداء: آه ای ایران من دریای من/ ای خروش انگیز و توفانزای من[1] (256).

وشبه في بيت آخر إيران بالجبل الذي يسكنه ذاك الطائر الخيالي عنقاء، وكأن الشعب لهم عزة وكرامة وإباء لا توصف، ولا يسمح للأعداء الاقتراب من البلد: ما چو عنقاييم و ايران قاف ما/ خانه اعزاز ما اشراف ما[2] (236).

كثير من أشعار سبزواري في الطن والدفاع عنه تختص بفتره الحرب العراقية المفروضة على إيران إذ نلاحظ أنه حرض الجيش على المشاركة في ميادين الجهاد مع العدو للمحافظة على أرض الوطن ونماذج هذه الأشعار هي قصائد معنونة بـــ «تا نفس باغبان در اين باغبان است؛ ما دام نفس البستاني في هذه الروضة»، «عاشقانه سفر كن؛ سافر عاشقا»، «راه قدس از كربلاست؛ مسير القدس من كربلاء»، «فرزند توفان؛ ولد العاصفة» و..

وفي قصيدة بعنوان «فتحنامه؛رسالة الفتح» أشار إلى مدينة خرمشهر التي غصبها الجيش العراقي في الحرب ولكن الأبطال الإيرانيين استطاعوا أن يعيدوها ويضموها إلى أرض الوطن، ولنصغ إلى أحاسيس الشاعر المرهفة وهو يناجي وطنه الحبيب في قصيدته و قال فيها مخاطبا المدينة هذه:

اي شهر خون شهر حماسه شهر پيكار/ اى لاله زار لاله‌هاى عشق و ايثار/ اى خاك تو گلرنگ چون دشت شقايق/ اى قتلگاه عاشقان پاك و صادق/ اكنون تو اى شهر قيام و شهر ايثار/ بگشاى آغوش پذيرايى دگر بار/ ياران پى آزاديت از جان گذشتند/ آرى ز جان در حفظ خوزستان گذشتند[3] (175). ندرك بوضوح عمق هيام الشاعر بالوطن وصدق تعلقه به فهو حينا يدعو له وحينا يغنيه وحينا يتغزل به وكل هذه الأحاسيس تنبئ عن وطنية حقيقية تملكت وجدانه وتشربها حسها فراح يسخر كل تجاربه الشعرية والشعورية ليفي وطنه بعض حقوقه.

4ـــ 2ـــ الإشادة بالشهيد والشهادة:

من الملامح المشتركة للمقاومة الجزائرية والإيرانية هي إشادة الشاعرين بالشهيد والشهادة لأن كل شعب فيها الشهادة فهو حيّ دائما يقاوم أمام الأعداء الغاصبين، محافظا على حقه، والشهادة من المفاهيم التي أكدها الإسلام تأكيدا قويا لأنها تشكل أقوى وأعلى رافعة للمشروع الإسلامي لأن فيها عزة الأمة ونصرها وسعادة الدار الآخرة والفوز بجنات النعيم وفي الآيات القرآنية دلالة واضحة على هذا التأكيد، منها [التوبة 9: 111؛ آل عمران 3: 169ـــ 171؛ البقرة 2: 154؛ الأحزاب 33: 23؛ محمد 47: 4ـــ 6 و...].

ومن نماذج إشادة لاشاعرين للشهادة هي:

قال الشاعر الجزائري داعيا إلى عدم نسيان فضل الشهداء لأنهم كانوا السابقين لبذل النفوس في سبيل الوطن ويوصي بالاهتمام بوصايا الشهداء؛ لأن فيها توصيات هامة في حفظ الوطن والعزة:

ولا تنس فضل السابقين إلى الفدى/ من الشهداء الطيبين بها ذكرا/ ترحم عليهم واحتفظ بقبورهم/ ورب بنيهم واتخذ عهدهم ذخرا/ وهل عهدهم إلا وصايا على الحمى/ لجيش وفي لا يكن لهم غدرا (402).

ويسلم عليهم سلاما دائما، لأنهم سبب هذه الحياة والعزة:

عليهم سلام الله ما خلفوا لنا/ سلاما به نحيا ونغتنم العمرا (402).

وقال أيضا داعيا الرحمة عليهم: رحم الله كل حر شهيد/ لك بالنفس في الوغى مبذال/ شهداء الأوطان شهب دجاها/ وشهود الفدا والاستقلال (391).

كما أن الشاعر الإيراني في كثير من قصائده يسلم على الشهداء الأبطال، قال مشيرا إلى شجاعة الشهداء في الحرب؛ وكأن كل شهيد قتل أكثر من مئتين عدو في المعركة ولذلك يجدر أن نصلي عليه ألاف التحية:هر يك شهيد داد دو صد تن زيا افكند/ بر روح هر شهيد هزاران زما درود[4] (276)

ويدعو على من كان ينوي أن يهدر دم الشهيد:

خواهم كه زغم در پس زانو بنشيند/ با خون شهيدان وفا هر كه درافتد[5] (296)

والشاعر الإيراني مثل نظيره الشاعر الجزائري يرى أن الحياة تتدفق من دم الشهيد وأن الشهيد حي يرزق عند ربه لأنه بذل مهجته لمرضاة الله: زانكه هرگز نميرد آنكه شود/ در رضاى خداي خويش شهيد/ زندگى جوشد از مزار شما/ رحمت و عافيت نثار شما[6] (20).

ذكرنا أن بلد الجزائر شهير ببلد المليون ونصف مليون شهيد والشاعر في شعره يدعو مخاطبه إلى ألا يزعج من كثرة الشهداء وكثرة الدم الذي جرى منهم على الأرض لأن هذا الدم هو الذي يدل على شهادة هؤلاء الأبطال ولهم فيه أجر عظيم وثواب جزيل:

ولا تزعجك آلاف الضحايا/ وما أجراه من دمه الغزير/ فتلك شهادة الشهداء فيه/ لذلك أجر مطلبه الكبير (387).

كما خص الشاعر الجزائري قصيدة بعنوان «وقفة على قبور الشهداء» للشهداء ومترلتهم الرفيعة وألقاها بمقبرة الشهداء بالأوارس في يوم عيد الأضحى قال فيها مشيدا بما فعله الشهداء الأبطال ويدعو لهم ويطلب لهم من الله عز وجل كريم الجزاء وعظيم الثواب: رحم الله معشر الشهداء/ وجزاهم عنا كريم الجزاء/ وسقى بالنعيم منهم ترابا/ مستطابا معطر الأرجاء (397).

وأخبر عنهم بما عنده من تراث قرآني بأنهم أحياء يرزقون عند ربهم:

إنهم عند ربهم حول رزق/ منه في نعمة وفي سراء/ هكذا أخبر الإله فصدّق/ نبأ الله أصدق الأنبياء (397).

وهذه الأبيات تذكرنا قول الله تعالى: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» [آل عمران 3: 169].

والشهيد هو الذي يستحق أعلى وسام في الشجاعة والشرف لأنه هو الذي بذل دمه في سبيل الحرية، وذكر الشهيد لا ينحصر على قبورهم وعلى الصخرة التي توضع على قبورهم، فلذلك هم يستحقون أن يبني الناس تماثيل العز والفخر عنهم في قلوبهم؛ يعني الشاعر أنه يجب على الناس أن يحفظوا ذكرى الشهداء في قلوب فيها حرارة الثورة ضد الظلم والعدو: لم أجد في الرجال أعلى وساما/ من شهيد مخضب بالدماء/ إن ذكرى الشهيد أرفع من أن/ ترفعوها بالصخرة الصماء/ فأقيموا لهم تماثيل عز/ في قلوب ثورية الأهواء (397).

والشهيد هو خير قدوة للناس فعليهم أن يتبعوه ويقتفوا أثره: واقتدوا وائتسوا بهم في المزايا/ إنهم أهل قدوة وائتساء (397).

أما بالنسبة إلى الشاعر الإيراني فنلاحظ أن تكريم الشهداء واستحضار ذكراهم العطرة عنوان حاضر في شعره في مناسبات متعددة وكثيرة. ومما لا يفوتنا أن نذكره هنا أن الشاعر الإيراني خص بعض قصائده بشخصيات استشهدوا في إيران إما في ميادين الحرب مع العدو العراقي وإما في عمليات اغتيال. إليك بعض نماذج من شعره. يرى الشاعر الإيراني أن الشهيد هو حارس التوحيد والثغور وحامي مكتب الإسلام وهم أبطال الإيمان، باذلين النفوس للحرية:

ای شهیدان سنگر توحید/ مرزبانان کشور توحید/ پشتبانان مکتب اسلام/ پاسداران دفتر توحید/ قهرمانان عرصه ایمان/ پیشگامان لشگر توحید/ سرنهاده به پای آزادی/ کرده جان را فدای آزادی[7] (20). ومن الشخصيات الإيرانية التي استشهدت في عمليات اغتيال منها المفكر الكبير مرتضى مطهري، ومحمد بهشتي[8]، وسيد حسن آيت وغيرهم من الشخصيات. وقد خص الشاعر لكل منها قصيدة أو أكثر. مثلا خص ثلاث قصائد لاستشهاد الدكتور بهشتي وهي بعناوين «منزل مبارکتان ای رهنوردان؛ منزلكم مبارك يا مسافرون»، «در فراق دوست؛ في فراق الصديق»، «از در آي کاروان؛ انطلق يا قافلة». والشاعر في هذه القصائد يلفت انتباهنا إلى أن القيمة الأسمى للشهادة تكمن في تحوّلها من ظاهرة فردية إلى حقيقة مجتمعية يعيشها أبناء الوطن.

قال في استشهاد مطهري مشيرا إلى علم هذا العالم الكبير الذي قد أصبحت الحاجة مُلحّة الآن للرجوع إلى منهجه في التفكير، خاصة أنه ائما يؤكد على استمرارية الثورة في الحكم الإسلامي، وأن الثورة ضرورة إسلامية وإنسانية ملحَّة لا يمكن الاستغناء عنها، وتتناغم مع روح العمل في الدين الإسلامي:

ای شهید ره حکمت و علم/ خون تو حافظ دین و دفتر/ در رثای تو ای کوه دانش/ وای اگر نشکند خامه را سر/ دور از مردی و مردمی بود/ قتل تو ای فقیه سخنور/ ای به دانش سزاوار مسند/ وی به حکمت سزاوار مصدر/ ای تو مرز خرد را نگهبان/ ای تو اسلام را یار و یاور[9] (77).

وأنشد في بداية الحرب العراقية على إيران مذكرا أن هذه الحرب ستخلق عاشوراء أخرى وعلى الناس ألا يسمحوا أن يذهب تراث الشهداء هباءا منثورا: میراث شهیدان را هرگز ندهیم از کف/ کاین شیوه به نام ما ثبت است به دیوانها/ بر دفتر عاشورا اینك ورقی دیگر/ تا از پی ما خوانند این قصه به دورانها[10] (88). وأشار إلى هذا المضمون في قصيدة أخرى بعنوان «اینك حماسه‌ای دیگر؛ والآن حماسة أخرى» (92).

4ـ 3ـ مكافحة الاستعمار والاستبداد:

إذا كان الظلم من الصفات السيئة في الدين الإسلامي فعلى الإنسان أن يتجنبه من أي شكل كان أو من أي نوع. في الحقيقة إن الاستكبار العالمي اليوم يحس بأن الأمة الإسلامية تمتلك كل عناصر النهوض ورسالة واقعية إنسانية وتأييد إلى ومقومات واقعية للوحدة ولما لم يكن يستطع تغيير أي عنصر سوى الوحدة فهو يركز جل اهتمامه على تمزيقها مستفيدا من الطرق المختلفة كجهل بعض المسلمين وتعصب البعض الآخر ومصالح مرتزقته الخاضعين لسياساته

الجائرة. والجدير بالذكر أنه لا يمكن أن تحقق الوحدة الإسلامية في ظل غزو استعماري يعشعش في الأفكار والاقتصاد والسياسة ولا بد أن تتجه كل الجهود الوحودية إلى مكافحة الاستعمار في جميع قطاعات العالم الإسلامي وخاصة القطاع الفكري والثقافي. وعلى المسلمين أن يعرفوا السبل التي يتبعها المستعمرون لتخدير المسلمين ومصادرة هويتهم الإسلامية ومسخ شخصيتهم الثقافية وتمييع ثقافتهم الأصيلة.

إن الشعب الجزائري في وطنه قاوم الاستعمار الفرنسي الذي كان قد غصب الجزائر وجعل الشعب يعاني من الظلم ولكن الشعب الإيراني كان يعاني من الاستبداد الذي كان يستعمله الملك الإيراني وهو كان يطيع الاستعمار تماما، فكلا الشعبين كانا يعانيان من الاستعمار والاستبداد، وما من بلد يدخل فيه الاستعمار أو يتدخل فيه إلا ومع الاستبداد.

ذكر محمد العيد أن حياة الشعب الجزائري الجديدة كانت في خلاصه من نير الاستعمار والاستبداد الفرنسي وكأنه كان ميتا وُهبت حياة جديدة كما أن العبد يحيى بعد أن يُعتق من الرق والعبودية وكما أن الصحابين الجليلين أبا بكر وعليا أحييا بلال وقنبرا؛ إذ جعلاهما حرّين بعد أن كانا عبدا للمشركين؛ وهكذا أحيي الشعب الجزائري:

واعجب لشعب قام حيا بعدما/ قد كان مذ قرن وثلث أقبرا/ عتق الرقاب حياتها من موتها/ ونشورها بعد الفناء لتحشرا/ أحيا أبوبكر بلالا بعدما/ أودى كما أحيا علي قنبرا (405).

ويرى أن الاستعمار دائما يبحث عن الشعوب ليستعمرها ويزداد قوة منها ويجعل الشعب يضعف يوما بعد يوم:

سلوا المشرقين سلوا المغربين/ سلوا سائر السير العالميه/ كم استعمروا من أراض قفار/ وكم أسعدوا من شعوب شقيه (381).

مما نلاحظ في شعر محمد العيد آل خليفة أنه ينظر إلى الاستعمار بنظرة الحقارة ويرى أن كيدهم ضعيف جدا وهو أضعف مما ينسجه العنكبوت ولا أحد يستطيع أن يستعمر الشعب الجزائري:

كل كيد يحوكه أهل كيد/ فهو نسج من العناكيب بالي/ من أراد استعمارنا من جديد/ فهو لا ريب طامع في المحال/ خيب الله من كاد الشعب/ بفصم العرى وقطع الحبال (391).

وهذا لو دل على شيء ليدل على أن الشعب صحا من غفلته وعندما يصحو شعب ما لن يسمح لأي قدرة أن يستولي عليه. وكذلك الشاعر الإيراني سبزواري يعرّف الغرب المستبد بكفره وأنه لا يعرف إلا الطيش والثروة ولا تهمه مكانة البشر ومنزلته في العالم ويده مخضبة بدماء كثير من الناس، ولكن بعد هذه الثورة (ثورة الشعب الإيراني) فحان الوقت أن يموت الغرب:

جهان كفر كه جز زور و زر نمی‌داند/ مقام و معنی روح بشر نمی‌داند/ جهان به بند كشيدست و خود به زنجير است/ شب است گر چه به دستش چراغ تزوير است/ جهان كفر گرفتار فتنه خويش است/ شكسته بال و پر از زخم دشنه خويش است/ اگر چه پنجه به خون جهانيان دارد/ مدام آتش تشويش در نهان دارد[11] (231).

4ــ 4ــ الاهتمام بالحرية والاستقلال:

إن الشعب الذي يحظى بالحرية والاستقلال فتظهر سيادته على أرضه وهذا ينبع من وعي مختلف الجماعات وشخصيتها الوطنية المتبلورة من خلال عوامل التاريخ والجغرافيا والتراث والقيم والعادات والتقاليد. والشعراء في المجتمع يجعلون هذا الغرض السامي نصب أعينهم لأنهم يتمنون عزة شعبهم وكرامتهم. يرى الشاعر الجزائري أن هدف الثورة الأسمى هو الحرية:

اليوم يذكر شعبنا حرية/ بالشكر منه حرية أن تذكرا/ باع النفائس والنفوس لأجلها/ وبها اشترى في العمر أغلى ما اشترى/ نال النجاح بها وأصبح منجزا/ أهداف ثورته بها وموفرا/ ودرى بها معنى الحياة و لم يكن/ من قبل ذاك لكنهها متصورا (406).

ويلاحظ أن استقلال الوطن موضوع هام جدير بالالتفات ويخاطب استقلال الوطن قائلا إن الشعب يحسب يوم استقلال الوطن العيد الأكبر ويهتم كل مواطن بإقامة حفل كبير: ذكراك ملء القلب حاضرة به/ هيهات أن تنفك عنه وتعبرا/ أقررت أعيننا فكل مواطن/ لك هاتف يعلى الهتاف مكررا/ فالشعب أجمع يحتفى بك راضيا/ مستبشرا ويراك عيدا أكبرا (406).

والهتافات تعلو في كل مكان وينشدون الأناشيد الوطنية شاكرين الرب لنعمة الحرية والاستقلال:

كان يوم استقلالنا عيد شعب/ طافح البشر ساحب الأذيال/ فالزغاريد والهتافات تعلى/ بين قرع الطبول والأزجال/ والأناشيد في الميادين تتلى/ من نساء وصبية ورجال/ قد رفعنا الهامات بالنصر تيها/ وشكرنا لربنا المتعال (391).

ويرى أن الحرية من حق الشعب الجزائري .. حق لا ريب فيه أبدا ومن أجل كسب الحرية واستقلال الوطن فحضر جيش كبير في الميادين ومعارك القتال: قد ذهبنا إلى الميادين نغزو/ ورجعنا منها بالاستقلال/ إن حرية الجزائر حق/ ليس فيها من ريبة أو جدال/ فارتفع عاليا ورفرف علينا/ خالد العز يا لواء الهلال (390).

وقال في مواصلة القصيدة إن الذي يحارب للحرية فعليه أن يكون صبورا كل الصبر ولا ينسحب من ميدان القتال: يعيش الحر مثلك وهو حر/ يلاقي كل عصف وهو عالي/ أراك تطاول الأحداث رأسا/ وتصمد في شموخ واعتدال/ كأنك قائد لغزاة فتح/ ترابط مستعدا للقتال/ تلقنهم بصخرك درس صبر/ وتحفزهم ببأسك للنضال (388).

والأجر العظيم الذي يتلقاه الجندي الشريف هو أجر الفداء لاستقلال الوطن وحريته: حباك الفدا أجر الفَدا فاغتبط به/ وحسبك باستقلال أرضك من أجر (394)

وأكد مرات عديدة على أن الاستقلال الذي حصل عليه الشعب الجزائري سيبقى لهم دائما ولذلك يهنئ الشعب بهذه النعمة الكبيرة: هنيئا لك النصر المبين فقد بدت/ طلائعه مثل التباشير في الفجر/ وعاودك الحظ السعيد فعش به/ سعيدا مجيدا بالفدى طيب الذكر/ وقافلة استقلالنا مستمرة/ على السير للأهداف في السهل والوعر (395).

ويعتز بشعبه المتلاحم الحر آملا بقاء الحرية والاستقلال فيه إلى أبد الدهر:

وأمتنا مجموعة الشمل حرة/ ودولتنا مسموعة النهي والأمر/ ودام لنا تحريرنا ونظامنا/ ودام لنا استقلالنا أبد الدهر (396).

أما سبزواري فيرى كما أن لكل شيء ثمنه لا بد من أن يُدفع فإن الحريه لها ثمن غال جدا وهو نفس الإنسان وذكر ذلك في قصيدة بعنوان «بهای آزادی؛ ثمن الحرية» مشيدا بالشهيد الذي بذل نفسه في هذا السبيل، قائلا: تو غمگنانه به خاك شهيد عشق نگری/ كه جان به مقدم جانانه شاد بايد داد/ به دست باش كه جان در بهای آزادی/ به دست دامنش ار اوفتاد بايد داد[12] (208).

أو قال محذرا أن يذهب دم الشهيد هدرا باتباع الإنسان الشهوات، مشبها الحرية بروضه جميلة غناء تُسقى بدماء الشهداء: مكن پامال شهوت گلشن آزادی ما را/ كه اين گلزار از خون شهيدان خونبها دارد[13] (304).

أو أنشد مشبها الثورة بربيع جميل مستخدما عناصر الطبيعة في وصفه لهذه الثورة التي أثمرت الحرية:

بانگ آزادی شنو از نای مرغ نغمه ساز/ شعر پيروزی بخوان در دولت بيدار گل[14] (317).

وكأن هذه الثورة أعادت الحرية إلى الطير الصادح، كما أن الورود والأزهار تنشد نشيد النصر والفتح. يجعل الشاعر الدين والعدالة والحرية جنبا إلى جنب ويؤكد الثوره في سبيل هذه القيم لأن مثل هذه الثورة يعني أن الإنسان الثائر آثر الدين على نفسه: خوش بود در راه دين و عدل و آزادی قيام/ مرز ايمان را زجان خويش برتر داشتن[15] (149).

مما يكمن في تحقق الحرية لكل شعب أنه يستطيع أن يعيش بكل عز وشرف ويرى الشاعر الإيراني أن الشعب الإيراني المقاوم الشيعي قد ورث الشعار الثوروي الهام وهو «هيهات منا الذلة» من الإمام الحسين (ع) ولذلك حارب من أجل حريته، والآن يعيش مباهيا بعزته: زما هيهات منا الذلة بشنو/ كه ما را از حسين اين يادگار است[16] (384).

يعتبر الشاعر الحرية نعمة عظيمة لا يجدها الإنسان على مائدة غيره من الأجانب: نعمت عظمای حق آزادگيست/ وين خورش بر سفره بيگانه نيست[17] (235).

ويلوم الذين لا يهتمون باستقلال الوطن مخاطبا إياهم: حتى متى تريدون أن تأخذوا اللقم من مائدة أعدائكم؟!: چند گيری لقمه از خوان كسی/ كش بدندان ديده‌ای چون خود بسی[18] (235).

ويشبه الشعب الإيراني بالعنقاء ذاك الطائر الخيالي الذي ورد ذكره في القصص ويولد كل ألف عام من رماده بعد أن يحترق؛ يريد الشاعر أن يبين أن لهذا الشعب مجد وعزة كما أن لهيكل العنقاء مجد عنما يولد من جديد وينهض من مكانه وإيران هي جبل قاف الذي يسكن فيه العنقاء وهي بيت عزة وشرف: ما چو عنقاييم و ايران قاف ما/ خانه اعزاز ما اشراف ما[19] (236).

4ــ 5ــ الدعوة إلى الوحدة:

من الموضوعات الهامة في العالم الإسلامي الذي أولاها الشعراء عناية فائقة هي الوحدة الإسلامية والاتحاد الإسلامي. وهذا المهم هو الذي يخالفه المستعمرون والمستبدون في العالم إذ يرون فيها عزة المسلمين وتقدمهم وأن المسلمين إذا اتحدوا ونهجوا سبيل الإسلام الخالص فأول ما يعملون به هو مكافحة الظلم والاستبداد ولهذا يحاول هؤلاء الأعداء دائما في إحباط عملية اتحاد المسلمين بشتى الطرائق. وبغض النظر عن أهمية الوحدة الإسلامية في المجتمع عدها القرآن الكريم من النعم الإلهية التي تؤلف بين القلوب؛ إذ أن الاختلاف والتفرقة من الأخطار الهامة التي تهدد حياة الإسلام ويصف القرآن الكريم التفرقة بالعذاب: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران 3: 103].

في الحقيقة إن الوحدة والاتحاد كلاهما يجسدان التوحد، الشكل الواحد، التضامن، الحركة باتجاه واحد، التعاطي من اتجاه واحد، من أجل الوصول إلى هدف واحد. إذن الوحدة والاتحاد بمعنى أنهما في مقابل مفاهيم من قبيل التكثر والتشتت والاختلاف والتفرقة ونظائرها. ولا شك أن هناك عدة آراء في تعريف ماهية الوحدة الإسلامية منها: ذهب البعض إلى أن الوحدة الإسلامية في الحقيقة تعني استيقاظ الشرق من نومه العميق لنشاهد ثورة ملايين إنسان صبور ضد الاستعمار الغربي العديم الأصول الأخلاقية (براون، 1376، 128). وعد بعض العلماء الوحدة الإسلامية أملا فوق كل الاختلافات المذهبية والعقائدية وإن كانت أساسية وعميقة (عنايت، د. ت، 89). واعتبرها البعض الآخر اتحاد المسلمين على المسائل المشتركة بينهم ومسلمات الدين الإسلامي في الآمال والمقاصد ومراعاة حدودها (مطهرى، 1383ه. ش، 212).

أكد الشاعر محمد العيد الوحدة العربية التي جمعت كل العرب جنبا إلى جنب داعيا إلى ترك أسباب التنازع والخلاف ويدعوم إلى الاعتصام بالعهد الثوري: خف الله فيما نلته وارج روحه/ ومنه فلا تيأس ولا تأمن المكرا/ ودع عنك أسباب التنازع واعتصم/ بميثاقك الثوري واشدد به أزرا/ وحكم كتاب الله في كل فتنة/ فتحكيمه لا بد أن يطفئ الجمرا/ لقد جمعتنا وحدة عربية/ على الحق جمعا لا نخاف له كسرا (402).

يدعو الشاعر إلى القرآن الكريم والاعتصام به في الفتن وقوله هذا يذكرنا بما ورد في الحديث الشريف: «فإذا ألبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن» (المجلسي، 1403ه، 89: 17). وقال الشاعر الجزائري في قصيدة أخرى ناهيا إخوانه عن الاهتمام بدنفسهم فقط، مؤكدا الوحدة بينهم وأنهم ليسوا راضين بالانفصال والفرقة: لا تقل لي أنا ولا أنت فيها/ كلنا قومها على كل حال/ كلنا إخوة من الدين والأرض/ اشتركنا في أشرف الأعمال/ كلنا شعب وحدة واعتصام/ ليس نرضى في أرضنا بانفصال (391).

دعا الشاعر الإيراني الأمة الإسلامية إلى الوحدة وسماها الأمة الناجية وخاطبهم في قصيدة بعنوان نفسه: برآييد برآييد به وحدت بگراييد/ كه از شاخ وفائيد كه از اصل ولائيد/ شما امت خاصيد شما اسوه ناسيد/ شما اس اساسيد شما باب رجاييد/../ زكثرت نهراسيد به وحدت بگراييد/ كه آيينه توحيد شمايد شماييد[20] (1367، 298).

وهذه الوحدة تمنع الفرقة في صفوف المسلمين المشابهة بالبنيان المرصوص: نكند دمدمه ديو در ايمان تأثير/ كه جدايى نبود در صف پيوسته ما[21] (298).

مثّل سبزواري الوحدة لمخاطبه مشبها كل فرد من أفراد الأمة بذرة غبار أو قطرة ماء ليست لهما أية قدرة ولكنهما إذا اتصلتا بغيرهما ستصنعان القدرة الهائلة والذرات مجتمعة تجيد الجبل والقطرات مجتمعة تخلق بحرا: از وحدت ذرهها كوه زايد/ تا ذرهاى در بها ذرهوارى/ از وحدت قطرهها قلزم آيد/ تا قطرهاى قطرهاى درشمارى (190).

والوحدة هي سبب القرار والأمن لأن البعض يحمي البعض الآخر: در كوى وحدت سفر كن كه آنجا/ يابى به آيين قرينى، قرارى[22] (190).

وللشاعر الإيراني قصيدة بعنوان «رمز بقاى امت ما وحدت ماست؛ سر بقاء أمتنا هو وحدتنا» وأشار فيها إلى هجمة صدام المستبد على محافظة كردستان في إيران في الحرب المفروضة على إيران مبينا فيها أن المهم هو الوحدة بين المسلمين بكل مذاهبهم وفرقهم لأن بينهم أواصر مشتركة كثيرة تجمع شملهم: من با تو و تو با منى يار اى مسلمان/ ياد آر از اسلام و از احكام قرآن/ اسلام ما را مىدهد فرمان وحدت/ بگرفته پيغمبر زما پيمان وحدت/ بهر بقاى دين والاى پيمبر/ جوييم فيض سنت وراى پيمبر/ تا وحدت ما ملت ما را پناه است/ دشمن اگر كوه است پيش ما چو كاه است/ گر فتح وپيروزى نصيب امت ماست/ رمز بقاى امت ما وحدت ماست[23] (1367، 196).

نلاحظ أن الشاعر يعد هذه المشتركات بين المسلمين كالدين والقرآن والنبي (ص)، وذكر أن النبي (ص) أوصى دائما بالوحدة وأن هذه الوحدة هي سر بقاء الأمة وإلا ستتلاشى وتذهب ريحها وفي ظل هذه الوحدة تسهل المقاومة أمام الأعداء المتجاوزين.

4ــ 6ــ السعي في إحياء القيم الإسلامية:

إن الدين الإسلامي الحنيف يتميز كليا عن باقي الأديان .. يتمتع بخصوصيات تحفظه حيويا يلائم جميع الشعوب في كل البلدان طوال كل عصور فهو ليس مجرد حج سياحي أو صلاة روتينية أو دعاء بلا عمل ولا الهزيمة والهروب من الساحة بحجة الزهد. فالإسلام هو العزة والإباء والمنعة والكمال .. ليس له بديل إنه صاحب تجربة تاريخية وتجربته الراهنة مازلنا فيها ... ولهذا الدين قيم عليا لا بد من الاهتمام بها وإحيائها ليبقى الدين حافظا لتلك الميزات الخاصة به.

ومن هذا المنطلق نلاحظ أن كلا الشاعرين أكدا إحياء هذه القيم. مثلا يؤكد الشاعر الجزائري اللجوء إلى القرآن الكريم والعودة إليه في كل فتنة تشتد على المسلم: وحكم كتاب الله في كل فتنة/ فتحكيمه لا بد أن يطفئ الجمرا (402).

ويرى أنه لا بد من ترك الجاهلية وآثارها في النفوس حتى يستحق الإنسان أن يُدعى بالمسلم الحقيقي: أنزعم أنا من المسلمين/ وفينا بقايا من الجاهلية (382).

والمتفصح في ديوان محمد العيد يلاحظ أن الشاعر يتوجه إلى الشعر الديني شديدا وهذا الشعر الديني يمثل أغلب شعره وهو شعر إصلاحي وإنه شعر يحتذي في نماذجه لغة القرآن الكريم والأحاديث النبوية وقد أطلق عليه عبد الحميد بن باديس حسان الحركة الإصلاحية (يوسف، 2004م، 134). ويلاحظ أن الشاعر كثيرا ما «يستلهم صوره الشعرية من القصص القرآنية كقصة موسى وعيسى ويعقوب وسليمان ويستلهم طائفة من المعاني القرآنية لتشجيع الناس على الدين والعمل بتعاليمه وتطبيق أحكامه ويحملهم على ألا يخافوا من أية قدرة لأن الله هو الغالب القهار والمخلوق مهما كانت قدرته لا يقوى على أن يغلب قدرة الله» (قادرى، 1390.ش، 52).

وسبزواري في شعره يحذر رفيقه أن يغفل عن الدين والحق والصدور التي تتحدى الشهادة:هان اى رفيق هان!/ غافل زسينه‌هاى شهادت گزين مباش/ غافل ز حق مشو/ غافل ز دين مباش[24] (51).

ويعتقد أن الثورة الإسلامية الإيرانية منحت الإسلام حياة جديدة لأنها بذلت جهدها في إحياء القيم الإسلامية: نهضت اسلام با دست خمينى جان گرفت/ دور طاغوت زمان با عزم او پايان گرفت[25] (314). وكأن الشاعر الإيراني يرى أن الثورة الإسلامية نار مشتعلة كان أصحابها يرفضون أن تسمى ثورة إيرانية فحسب إنما هذه ثورة تتعلق بكل مسلم أبي يرفض الظلم ويحارب الاستبداد وأثبت الإسلام إرادته القوية بقيادة هذا السيد الفقيه.

4ــ 7ــ الحث على الجهاد:

وفي القرآن الكريم آيات تحرض المسلمين على الجهاد في سبيل الله ويريد منهم أن يستعدوا للقتال ولعل أول إعداد لا بد للمسلمين أن يتحلوا به هو الإعداد الإيماني: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا» [الطلاق 65: 2]؛ وبعده إعداد العُدّة كما قال تعالى: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ» [الأنفال 8: 60].

ومن مؤلفات المقاومة عند الشعبين الجزائري والإيراني هو الحث على الجهاد؛ إذ بالجهاد يمكن طرد المستعمر والمستبد من الوطن. أنشد الشاعر محمد العيد قائلا:رأيت المنايا سبيل المنى/ فخاطر تصب منية أو منية/ إذا زلزلت بالخطوب البلاد/ فلا خير في حذر أو تقية/ أنصلى الجحيم ونُسقى الحميم/ ونُرغى الوخيم ونعطى الدنية؟/ ومن حولنا تستباح الديار/ ويخزى الصبي بها والصبية/ أتخضع للضيم يابن لدباة/ وتطرق مستسلما للأذية/ أما في عروقك أزكى الدما؟/ أما في فؤادك أذكى الحمية؟ (380).

نلاحظ أنه يحرض على القتال مشيرا إلى الحمية في قلوب المجاهدين، ويسألهم كيف يمكن أن يستقر هؤلاء الأبطال ويأخذ الأعداء أرض الوطن؟!

وفي قصيدة أخرى شبه الأعداء بالذئاب التي تعوي في البلاد فكيف يمكن أن يسكت حافظوا الوطن، ويسأل الشاعر عنهم: ذئاب الشقاق عوت في البلاد/ فأين الرعاة لحفظ الرعية؟ (381).

ويطلب من المجاهدين أن يفدوا بأنفسهم في سبيل الوطن ويحفظوا عليه مقابل مكر الأعداء ويريد منهم الخوض في المعارك: من للجزائر يفتد/ بها اليوم من سفه السفل؟/ من كل مبتكر المكائد/ في عقائده دخل/ يا مشهرين من العزائم/ مثل مرهفة الأسل/ خوضوا بها الأمواج واعلموا/ الشهب واقتلعوا القلل (384).

وفي رأي الشاعر الجزائري لم يقتصر الجهاد على الرجال، بل نراه في قصيدة بعنوان «ثورة بنت الجزائر» يحث المرأة الجزائرية أن تشارك في المعارك وتساعد الرجل الجزائري في حفظ الوطن ويريد منها أن تستجيب دعوة الشعب المناضل: ساهمي في الجهاد جند الجهاد/ وأعدي الفدا لنصر البلاد/ يا فتاه البلاد شعبك نادى/ فاستجيبي بعزمة للمنادي (392)

وقال مشيدا بصبر النساء في ميادين الحرب وأن صبرهم فاق صبر الرجال: قد سبقن الرجال في البأس صبرا/ وتحملن فتنة الأضداد (392).

وأنشد على لسان بنت الجزائر بأنها تحافظ على عفتها وصبرها وصلاحها ودينها، وإنها لن تنسى ما عانى والداها في تربيتها وأنها وفية للوطن لن تنسى أهلها وشعبها وتاريخ شعبها، ومجد الجزائر القديم ومآثر أجدادها قائلا في البيت الأخير للقصيدة، وهي تعِد بلدها وتجعله يثق فيها:

لست أنسى مفاحري فاطمئني / وثقي بي في ثورتي يا بلادي (393).

وأنشد الشاعر الإيراني سبزواري مؤكدا على أن المجاهد إذا سار في طريق الحق فيساعده الله تعالى:

تيغ لا شرقي ولاغربي برآريد از نيام/ راه حق گيريد و پس امداد يزدان بنگريد[26] (251).

ويطلب سبزواري من ولده أن يساعده في الحرب والجهاد في سبيل الله وسمى قصيدته بـــ «فرزندم مرا ياری كن؛ ساعدني يا ولدي» ويشرح له في القصيدة كيف يجب عليهما أن يحملا السلاح ليحاربا الأعداء ويطرداهم من الوطن يريد منه ألا يفكر أبدا في أن الطريق خال من المجاهد (41).

وفي قصيدة أخرى يحرض المجاهدين على الجهاد مع جيوش صدام الذين أغاروا على البلد والمدن الجنوبية من إيران ويريد منهم أن يسترجعوا أرض الوطن من الأعداء ويشير في القصيدة إلى أسماء المدن كلها (165). أو في قصيدة أخرى يخاطب الجيش وقوات الحرس الثوري ويذكر صفاتهم الخاصة التي تميزهم عن غيرهم كالشجاعة والإقدام والإخلاص والوفاء للوطن و.. ليحرضهم على القتال في سبيل الله تعالى ولأجل الوطن (243). ويقول في قصيدة معنونة بـــ «مشهد نامآوران؛ مشهد الأبطال» محرضا الأبطال على الإقدام مشيرا إلى أن هذا الزمن هو وقت الجهاد ولا عمل آخر وأن من كان ذليلا لا يجدر له أن يشارك في ميدان الحرب وعلى المجاهد أن يكون كالأسد في الشجاعة ولا يخاف أحدا ولا شيئا: تيغ برآريد تيغ فرصت گفتار نيست/ موسم رزم است رزم وقت دگر كار نيست/ تنگ ببنديد تنگ رزم گرانرا ميان/ هر كه زبوني كند در خور پيكار نيست[27] (282).

4ــ 8ــ الأمل في مستقبل زاهر:

كلما فكر الإنسان في المستقبل وتفاءل بالخير آملا أن يكون المستقبل زاهرا مليئا بالخير فهذا الأمل يدفعه إلى العمل والمثابرة والنشاط .. فكيف لا والإنسان يعيش ويحيى بالأمل والرجاء؟!

والإنسان المقاوم الذي يحارب من أجل الوطن والحرية وإحياء القيم الإسلامية وإعلاء كلمة الدين و.. فلا يمكنه أن يكون خائبا، بل لا بد له من أن يرجو لمستقبل زاهر ويأمل في الخير الذي سيحدث في المستقبل. وهذا مما نلاحظ بوضوح في أشعار الشاعرين الإيراني والجزائري في شعرهما ونرى أنه في خضم هذه الآمال والتطلعات للمستقبل ينسى الشاعران كل ما لاقياه من معاناة إليك بعض نماذج من أشعارهما:

قال محمد العيد سائلا التبشير بالاستقلال طالبا ترك التشاؤم ويراه وهما لا أثر له وأن الأمة الإسلامية إذا أرادت أن تقرر مصيرها فلا بد لها من العمل والأمل: أتى استقلاله حتما فأبشر/ وبشّر ما لقولك من نكير/ ودع عنك التشاؤم فهو وهم/ وهمّ ليس يجمل بالبصير/ فليس لأمة بالحق ثارت مصير غير تقرير المصير (387).

يذكرنا قوله هذا بقول الشاعر التونسي البطل أبو القاسم الشابي: إذا الشعب يوما أراد الحياة/ فلا بد أن يستجيب القدر ..بأن الأمة هي التي تكتب مستقبلها وتقرره كما تكتب تاريخها ومجدها الشعبي. وأنشد في قصيدة أخرى متفائلا بالمستقبل الذي يلقى فيه الشعب عزته ويستبعد كل الاستبعاد أن يشقى الشعب وكما أن الغيوم السوداء التي تجعل الشمس تغيب عن الأنظار ستزول بعد مدة فالهموم النازلة على الشعب كذلك تزول في المستقبل ولن يبق لها أثر، ولذلك يدعو إلى الصمود والمقاومة والتفاؤل والتوكل على الله تعالى، قائلا: فقال أجل سيلقى الشعب عزا/ ويرقى بالفدى رتب الجلال/ معاذ الله أن يشقى ويبقى/ رهين الذل يوطأ بالنعال/ ترقب خير مولود جديد/ بمولده تمخضت الليالي/ وما في الجو من غيم كثيف/ وإن طال المدى فإلى زوال/ وقل لابن الجزائر كن صمودا/ فنصر الله للبأساء تالي/ تحد الأقوياء بكل صبر/ ووال الاحتجاج ولا تبال/ وإن لم ينتصر لك أي مولى/ أتاك النصر من مولى الموالي (389).

ويرى سبزواري الشاعر الإيراني أن الشهداء هم من مظاهر الأمل للمستقبل الزاهر وبهم يرجو الإنسان كل الخير للمستقبل وقال مخاطبا الشهداء: اى يادتان ياد آور ايمان و اميد/ اى نامتان بر صفحه تاريخ جاويد[28] (81).

لأن الشهداء هم قرابين الحرية والسيادة، وقناديل الأمة التي تضيء درب الأجيال وهي تستعد لأداء دورها في تحقيق الأهداف والطموحات والآمال.

النتايج:

من أهم ما حصل من التطواف الذي قمنا به في الشعر الجزائري والشعر الإيراني الثوري المتمثل في شعر محمد العيد آل خليفة وحميد سبزواری هو أنه:

ـــ من المضامين المشتركة في شعر الشاعرين هي: الدفاع عن الوطن، الإشادة بالشهيد والشهادة، مكافحة الاستعمار، الاهتمام بالحرية، الدعوة إلى الوحدة، الأمل في المستقبل الزاهر و...

ـــ يستشف المتأمل في الشعر الوطني لكلا الشاعرين صدق الانتماء وحرارة العاطفة لأن الوطن في مفهومهما عشق ومعاناة وتضحية.

ـــ للشهادة في أشعار الشاعرين أصداء مدوية؛ إذ يراها كل من الشاعرين مفهوما إسلاميا، فيه عزة الشعب ونصره.

ـــ قد بقي الشعر الثائر لدى كلا الشاعرين سجلا حافلا بأبعاد معاناتهما وليظل أيضا نافذة تطل بنا على مستقبل طالما رنوا إليه أو حلما به.

ـــ يذهب الشاعران إلى أن الإسلام دين قوي ينازع قوى العالم المدججة بالأسلحة، ينازع الدول الكبرى فيجعلها تعيد حساباتها المرة تلو الأخرى؛ إذ يحدد لها الإسلام غرورها وطيشها.

ـــ اهتم كل من الشاعرين بالقرآن اهتماما بالغا لأن في القرآن حقيقة الإسلام وحقيقتنا وقضيتنا وأسرار مسيرتنا.

ـــ قد أدرك الشاعران حقيقة الانتماء مما جعلا الوطن في مفاهيمه يعني الحرية والاستقلال.

المصادر والمراجع

ـــ ***القرآن الكريم***.

ـــ ابن قينة، عمر. (1993م). ***صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث***. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

ـــ الديب، فتحي. (1990م). ***عبد الناصر وثورة الجزائر***. القاهرة: دار المستقبل العربي

ـــ الزاهري، محمد الهادي. (1926م). ***شعراء الجزائر في العصر الحاضر***. تونس: المطبعة التونسية.

ـــ العيد آل خليفة، محمد. (2010م). ***ديوان محمد العيد آل خليفة***. الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

ـــ براون،ادوارد. (1376). ***انقلاب مشروطيت ايران***. ترجمه مهدى قزوينى. تهران: انتشارات كوير. [ثورة إيران الدستورية. المترجم: مهدي قزويني. طهران: منشورات كوير].

ـــ خليلي، اكبر. (1375). ***گام به گام با انقلاب***. تهران: حوزه هنري. [خطوة خطوة مع الثورة].

ـــ دبش، إسماعيل. (2007م). ***السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية*** (1954-1962). الجزائر: دار هومة.

ـــ درار، أنيسة بركات. (1984م). ***أدب النضال في الجزائر***. الجزائر: المؤسة الوطنية للكتاب.

ـــ روحانى، حميد. (1359). ***بررسى و تحليلى از نهضت امام خميني***. تهران: راه امام. [دراسة وتحليل ثورة الإمام الخميني].

ـــ سبزواري، حميد. (1367). ***سرود سپيده***. تهران: مؤسسه كيهان. [نشيد الفجر]

ـــ سعد الله، أبوالقاسم. (1998م). ***تاريخ الجزائر الثقافي***. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

ـــــ عنايت، حميد. (د.ت). ***دين و جامعه***. تهران: انتشارات موج. [الدين والمجتمع. طهران: منشرات موج].

ـــ فيض، مصطفى. (1386). ***حال اهل درد (مرورى بر خاطرات و اشعار حميد سبزوارى)***. تهران: مركز اسناد انقلاب اسلامى. [حال أهل الألم (مراجعة على ذكريات وأشعار حميد سبزواري)، طهران: مركز أسناد الثورة الإسلامية].

ـــ قادرى، فاطمة. (1390.ش). «الشعر الإسلامي عند محمد العيد». ***مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها***. العدد 18. صص 47ـــ 67.

ـــ محمدى، منوچهر. (1370). ***تحليلى بر انقلاب اسلامى***. تهران: امير كبير. [تحليل الثورة الإسلامية].

ـــ محمدى رى شهرى، محمد. (1363). ***ميزان الحكمة***. بىم: مكتب الاعلام الاسلامى.

ـــ مطهرى، مرتضى. (1383). ***شش مقاله***. قم: انتشارات صدرا .[ستة مقالات، قم: منشورات صدرا].

ـــ مطهري، مرتضى. (1362). ***پيرامون انقلاب اسلامى***. تهران:صدرا. [حول الثورة الإسلامية].

ـــ ناصر، محمد. (1985م). ***الشعر الجزائري الحديث***. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

ـــ يوسف، أحمد. (2004م). ***السلالة الشعرية في الجزائر***. الجزائر: مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع.

الهوامش

1. آه! يا إيران يا بحري، يا أيها البحر الثائر المواج.

2. نحن كالعنقاء وإيران تشبه جبل القاف، وهي بيت عزتنا وشرافتنا.

3. يا مدينة الدم ويا مدينة الحماسة ويا مدينة الجهاد، يا مدينة أصبحت مكانا لأزهار شقائق العشق والإيثار، يا مدينة أصبح ترابك محمرا كصحراء الشقائق، يا مدينة أصبحت مقتل العشاق الطيبين والصادقين، والآن يا مدينة الجهاد ويا ميدنة الإيثار، افتحي أحضانك مرة أخرى لأن الأصدقاء بذلوا نفوسهم لحريتك، أجل.. هم بذلوا نفوسهم في حفظ محافظة خوزستان.

4. وكل شهيد قد قتل مئتين عدو، ولروح الشهيد منا آلاف التحية والسلام.

5. وأتمنى أن يصاب بالغم والحزن، من ينوي هدر دم الشهيد ويقصد إهداره.

6. لأن من استشهد مبتغيا رضى الله فلن يموت أبدا، والحياة تتدفق من مزاركم، فعليكم رحمة الله وسلامه.

7. يا شهداء معقل التوحيد، ويا حارسي حدود بلد التوحيد، ويا حافظي الإسلام، ويا حارسي التوحيد، وبا أبطال الإيمان، ويا رواد جيش التوحيد، يا طائعي الحرية، ويا من بذلوا نفوسهم للحرية.

8. استشهد آية الله بهشتي في حادث تفجير مكتب حزب الجمهورية الإسلامية الذي وقع في 27 يونيو من عام 1981 وكان من تخطيط و تنفيذ زمرة مسعود رجوي الإرهابية الذي أدي إلي مقتل 72 من مسؤولي نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية وإصابة 28 آخرين ويعتبر هذا الحادث من أهم الأحداث التي وقعت في مطلع العقد الأول من انتصار الجمهورية الإسلامية.

9. يا شهيد طريق الحكمة والعلم، أصبح دمك حافظ الدين والمكتب، والقلم لا يساعدني في رثائك يا من كنت جبل العلم، وكان عمل من قتلك بعيدا عن الإنسانية تماما، يا من كنت فقيها خطيبا، كنت أحرى من غيرك بأن تكون سندا للعلم، ومصدرا للحكمة، وكنت حارس حدود العلم، وناصرا للإسلام.

10. لن نهدر تراث الشهداء أبدا وهذه طريقتنا دائما، وهذه الحرب هي ورقة أخرى لحادثة عاشوراء وسيقرأ الناس بعدنا هذه القصة طوال التاريخ.

11. إن عالم الكفر الذي لا يعرف إلا الطيش والثروة فلا يعرف منزلة الروح البشرية ومعناها، وجعل العالم في قيد ولكنه أيضا مقيد بسلاسل، وكأنه ليل مظلم مع أنه يدعي أن في يده مصباح وهو كله مزور، وعالم الكفر هو وقع في فتنته، وكأنه طائر قد جرِح من سكينه، ويخفي في صدره نار الفتن والاضطراب وإن قد تلوثت يداه بدم كثر من الناس في العالم.

12. إنك تنظر إلى قبر الشهيد حزينا ولكن لا بد أن تُقدّم النفس بكل سرور، واعلم جيدا أنه لا بد من بذل المهجة ثمنا للحرية، كلما حصل ذلك.

13. لا تسمح أن تُداس روضة حريتنا بأقدام الشهوة لأن فدية هذه الروضة هي دم الشهداء.

14. استمع إلى صوت الحرية من طائر صادح، واقرأ نشيد الفتح في دولة الورد الصاحية.

15. ما أطيب إيثار حد الإيمان على المهجة في سبيل الدين والعدالة والحرية.

16. اصغ منا شعار هيهات منا الذلة، لأن هذا الشعار قد ورثناه من الحسين (عليه السلام).

17. نعمة الله العظمى هي الحرية، وهذا الإدام لن تجده على مائدة الأجانب الأعداء.

18. كم مرة تأخذ اللقم من مائدة الآخرين ورأيت كثيرا من الناس مثلك في وضعهم.

19. نحن كالعنقاء وإيران تشبه جبل القاف، وهي بيت عزتنا وشرافتنا.

20. تعالوا تعالوا واعتصموا بالوحدة، لأنكم من قلة الوفاء ومن أصل الولاء، إنكم أمة خاصة إنكم قادة الناس، إنكم أس وأساس إنكم باب الرجاء .. لا تخافوا من كثرة أعدائكم واعتصموا بالوحدة، لأنكم مرآة التوحيد.

21. لن يؤثر تذمر العدو في الإيمان، لأنه لن تحدث الفرقة في صفوفنا المتلاحمة والمنسجمة.

22. سافر في مسير الوحدة لأنك ستجد هناك الأمن والقرار بما أنك تجد القرين والرفيق.

23. أنا معك وأنت صديقي يا أيها المسلم! واذكر الإسلام وأحكام القران، يأمرنا الذسلام بالوحدة وأخذ النبي منا عهد الوحدة، ولأن يبقى دين النبي (ص) القويم فيجب علينا أن نتبع سنة النبي (ص)، وما زالت الوحدة تحمي الملة فنحن صامدون أمام العدو ونعتبره قشا ولو كان أعظم من الجبل، وإن أردنا الفتح والنصر لأمتننا فيجب أن نعلم أن سر بقاء الأمة هو وحدتنا.

24. ألا يا رفيق! لا تغفل عن الصدور التي اختارت الشهادة، ولا تغفل عن الحق، ولا تغفل عن الدين.

25. لقد أُحييت النهضة الإسلامية بيد الخميني، ولقد طُوي ملف طاغوت هذا الزمان بعزمه وأصبح في خبر كان.

26. أخرجوا سيف لا شرقي ولا غربي من الغمد، واتبعوا سبيل الحق وانظروا كيف سيمددكم الله جل وعلا بالغيب.

27. أخرجوا سيوفكم من الغمد وليست لدينا فرصة للكلام بل الآن وقت العمل، ووقت الجهاد وليس وقتا لعمل آخر، واهتموا بالجهاد فقط ومن هو ذليل ويقبل الهوان بسهولة لا ينبغى له أن يشارك في الجهاد ويساهم فيه.

28. يا من كان ذكراكم تذكيرا للإيمان والأمل، ويا من يبقى اسمكم على صفحة التاريخ إلى الأبد.